تابو الجسد في الرواية ظل ماثلا

شاكر الأنباري

في الكتابة العربية الجادة، خاصة في الرواية، لم يأخذ الجنس حيزا كبيرا يستحقه في النصوص، وذلك بسبب التابو الاجتماعي والرقابي، والديني، ضمن الانفصال البيّن بين اللغة العربية ومادة الكتابة، أي الواقع والمحرمات الثلاثة المعروفة، أي الجنس والدين والسياسة، مَا زالت سارية على اللوحة الشاملة للكتابة، والروايات الناضجة التي تناولت موضوعة الجنس تعتبر قليلة قياسا الى أهمية الجنس في الحياة وارتباطه بالإنسان.

والحديث يدور هنا عن التوظيف العضوي للجسد في النص، لا التوظيف المفتعل الخالي من الرؤية الناضجة، الباحث عن إثارة إعلامية لا غير، الجنس هنا هو الجسد، وصف أعضائه، وانفعالاته، وعلاقته بجسد آخر، وارتباطه بالحب، كمشاعر بشرية تنتاب الجميع، الرجل والمرأة، الجاهل والمتعلم.

لا يخفى أن الثقافة العربية ثقافة مختلة العقل، بتوصيفها العام، لهذا لا نجد نماذج يمكن القياس عليها في تناول موضوعة الجنس، خاصة مع غياب تقاليد النقد وسلطته، فثمة كتابة لا تعتمد في وصول القارئ الا على التهييج الشكلي، والمباشر، وغير المرتبط بجدوى الجنس داخل النص، وهذا ما يمارسه عديمو الموهبة، ومسطحو الرؤية تجاه الحياة عموماً، وبسبب دخول المرأة الجديد نسبيا، في حقل الرواية، وتعطش القارئ لمعرفة هذا الجنس الغريب عليه، نتيجة القمع التاريخي للمرأة ونتيجة للثقافة الذكورية، تلقف الإعلام الجرأة القادمة من الأنثى حتى وإن جاءت مفتعلة ومفبركة ولغوية، وروج لها كثيرا، وغلبت في أحيان على المواصفات الفنية للكتابة وأصول الرواية الأساسية.

إما بالنسبة للرجل فنادرا ما وظف الجنس بشكل صحي، كون الذكر يفتقد المعرفة الواضحة والصحيحة للمرأة، وذلك للعزلة التقليدية بين الجنسين، وحقيقة وجود ثقافة ذكورية في الثقافة العربية، مسيطرة ومهيمنة، حقيقة يصعب إنكارها، ينبغي أن لا توظف المشاهد الجنسية الا بمقدار ما يتطلبه النص، ولا يصار إلى فلسفته لغويا إنما يوضع في سياق انفعال الشخصيات واكتشافاتهم جسد الآخر، وعلاقة ذلك الإكتشاف بحركة الأحداث عموما، أي الجنس كانفعالات نفسية ومتعة حياتية لها علاقة باندماج بين فردين وحالتين، يصلان الى التوحد عبر التلاصق والتداخل والاشتباك والملامسة، لإنتاج حالة معرفية يلعب الحسي بها دوراً كبيراً.

ومن هنا يتم تناول الجنس بأناقة روحية، توسع من أفق الحدث وتضيف معرفة إلى القارئ، لأن التناول جرى استنادا إلى خبرات فردية وواقعية، لم يتم عبر استمناء لغوي وتاريخي ناتج عن ثقافة ذكورية كحال ثقافتنا، عملت لقرون على قمع الجسد وإبعاده عن اللغة الشائعة.

فالسرير ثقافة عميقة، وهي ثقافة تشترك فيها الشعوب كافة، من هنا فهي موضوعة تخص الإنسانية كلها. بعض الكتابات العربية، حتى في الشعر، تدفع بالجنس إلى أن يكون فلما من أفلام البورنو، لكن الجنس وكما هو معروف، فعل حضاري، له ارتباط بالرؤية الحضارية والإنسانية الشاملة، ونجاح تناول هذه التجربة لها علاقة بالابتعاد عن فجاجتها واستهلاكها، الابتعاد عن ثقافة العهر، وهي كما هو معروف شائعة لدى الجميع ولا تضيف شيئا للتجربة، من النماذج الروائية التي أعتبرها ناجحة في الاستفادة من الجنس كحالات إنسانية موظفة فنيا، روايات علوية صبح، وحنان الشيخ، وروايات فؤاد التكرلي خاصة في المسرات والأوجاع، ورشيد الضعيف في عدد من أعماله، في حين تسقط بعض الروايات النسائية الشابة بسطحية تناول موضوعة الجنس، ومرجع ذلك الى بساطة الفن الروائي والسذاجة الفنية عموما، لا إلى تناول الجنس ذاته.

يتم تناول الجنس عبر مداخيل مبررة فنية، الروائية اللبنانية علوية صبح تقدم الأنثى عارية، وتكشف الستار عن الانفعالات وصدق المشاعر ورؤية تلك الأنثى الى الذكر، دون افتعال مشاهد أو استثارات مجانية، بينما تتغلغل حنان الشيخ في متاهة المرأة المقموعة، المعزولة، وعالم النساء البعيد عن رقابة الرجل، لذلك تناولت موضوعة السحاق في إطار الحاجة الروحية والجسدية الناتج عن العطش الجنسي والرغبة باكتشاف قرينتها الملفعة بحجاب العفة الكاذب، حين يدفع المجتمع هذه الشريحة إلى غياهب الظلام، ويهمش وجودها تحت ضوء الشمس.

فؤاد التكرلي نظر إلى الجنس، والعلاقة بين المرأة والرجل، باعتبارهما معادلا موضوعيا للموت، فالحب والجنس حياة وخصوبة، بينما الحرب موت وجفاف، لذلك كانت مشاهد مضاجعة شخصياته تحت نار القصف، ودوي الانفجارات في روايته المسرات والأوجاع، تأكيداً على ديمومة الحياة رغم الحروب والقمع والمذابح. وهذا تناول نبيل للجنس ورؤية إنسانية شاملة.

اما الروائي اللبناني رشيد الضعيف فكشف عري الرجل، تفاهة ذكوريته وثقافته الواحدية وعزلته داخل شرنقته الشرقية وهي تحن إلى أخلاقيات عهد المماليك، وما تحث عليه من ضرورة وضع جسد المرأة في خانة الحريم.

وفي الوقت ذاته أعطى صورة معقولة عن مراوغات المرأة، وتعاملها مع جسدها في ظل سلطة العمائم والصلبان والتابوات المنافقة، وفي ظل سلطة ذهنية القطيع التي تسحق أي فرد يحاول الوصول الى صياغة مصيره خارج الجماعة.

لا أجد أن الجنس أخذ حيزه الطبيعي في الكتابة العربية كلها، سواء السورية أو المصرية أو العراقية أو غيرها، فظلت هناك مساحة واسعة لم تستطع الرواية الدخول اليها بسبب الرقابة والدين والتقاليد الاجتماعية، وهي المساحة التي تركتها السلطة، بكل أنواعها، بين الواقع الغني والمتحول والنشط، وبين التعبير اللغوي، أي تصعيد ذلك الواقع المقموع لكي يجد مكانه تحت الضوء، وهذا ما أفقر لغتنا العربية لحد كبير، وجعلها تسير ضمن قواقع صلدة، وتروس سميكة باعتبارها لغة مقدسة، وجدت سقفها النموذجي والكامل في النص الديني منذ ما يقرب الألفي سنة.

حياة فرجينيا وولف في أسطورة جديدة

ترجمة: عدوية الهلالي

في عمل يحمل سمة شخصية، أظهرت الكاتبة الفرنسية فيفيان فوريستر الروائية الانكليزية الشهيرة فرجينيا وولف في أسطورة جديدة من نوعها للمرأة التي رافقها الضعف والهشاشة والإحباط زمنا لتتحول الى شظايا امرأة رغم قوتها الهائلة التي يعكسها نتاجها الأدبي.

تجتهد فيفيان منذ بداية كتابها في تسليط الأضواء على الالتباسات والنقاط الغامضة في سيرة حياة وولف لتصل في النهاية الى كشف الأكاذيب والزيف الكبير الذي صبغ اغلب الكتب التي روت سيرة حياة الكاتبة الراحلة.. ضم كتاب فيفيان تحليلا مذهلاً لفترة شباب وولف وزواجها وعملها الأدبي وعالمها بمجمله، متعقبة آثار الكاتبة بطريقة ديناميكية تحمل الكثير من الرغبة في الدفاع عنها وحمايتها من الأكاذيب التي حجبت الحقيقة زمنا طويلا لدرجة اقتراب المؤلفة من صفة المحللة النفسية.

استخدمت فيفيان ذكاءها في التحليل مع الاعتماد على التناقض الذي منح عملها سطوعا وجمالا فريدا لا يضاهى فعلاوة على ما يقدمه من سحر يستولي على القراء، سيعمل على إثارة قلقهم وتساؤلاتهم.. وترى فيفيان ان عملها يستمد قوته وجماله من شخصية فرجينيا وولف التي تحمل سمات مدهشة فهي المرأة المريضة والمحبطة والمجنونة أحياناً، وهي الكاتبة العظيمة التي قدمت للعالم الأدبي كنوزا وانفردت برؤية خاصة للعالم في الوقت ذاته.

وإذا كان أقارب وزوج وولف قد منحوها صورتها المعروفة عالميا بعد رحيلها فأن فيفيان عملت بجد من اجل تفصيل رداء جديد لها طالما لم يكن لفرجينيا سلاح تدافع به عن نفسها سوى قوة الصمت!

منذ الطفولة ، تعاني فرجينيا فقدان الأهل وتواجه حزنا قاتلا وخوفا هائلا حين تتعرض وشقيقتها لاعتداءات جنسية من قبل شقيقيها من أبيها فيعرضها ذلك للإصابة بمرض عصبي يرافقها طوال حياتها لكنها لم تتخل عن شجاعتها وصبرها وصلابتها بمواجهة محن عديدة نسجت منها شخصيتها الأدبية التي فرضتها بقوة في عالم الأدب.

تسلط فيفيان ضوءا ساطعا على حياة ليونارد –زوج فرجينيا –الكاتب والمفكر الذي لا يدخل حياتها الا لكي يتزوجها رغم ما يعرف عنها من الهشاشة في حياتها العاطفية وما تدل عليه أفعالها أحياناً من أزمات عصبية اثر مرض عصبي لازمها منذ صباها.. وكان ليونارد من النوع الذي تنفر منه النساء لكنه ادعى ان زوجته الشابة شديدة الشبقية ولم يكن قادرا على إرضاء رغباتها في الوقت الذي تؤكد فيه فيفيان عكس ذلك، مشيرة الى ان فتور عاطفة وولف وبرودها الجسدي كان غطاءا يصطخب تحته بركان الحرمان والكبت الذي فرضه مرضها العقلي ما أدى الى إصابتها بخيبة شديدة في حياتها العاطفية سيما بعد ان أعلن زوجها عن عدم قدرتها على إنجاب طفل.

ويثير هذا الامر اضطراب فرجينيا اكثر من غيرها لأنها تعتقد في قراره نفسها ان زوجها ينتقم منها وبهذا تكشف المؤلفة فيفيان عن شخصية غير مستقرة ومتقلبة للكاتبة الراحلة.

وترى فيفيان ان فرجينيا أسدلت الستار مرغمة على حياتها الشهوانية وعلى غريزة الأمومة ولم تخرج من تلك الاحباطات معافاة ابدا، في الوقت الذي استخدم ليونارد اضطرابها ذاته ليتشدق بقدرته على احتجازها في مصح عقلي متى ما رغب بذلك لكنه كان يفضل الاعتناء بها.

وتكشف فيفيان فوريستر بحدة ذهنها وجود توازن غريب بين الثنائي اذ يتصرف كلاهما بطريقة مازوخية، ثم تكشف الأحداث عن سر غريب فالزوج ليونارد كان يهوديا وكانت فرجينيا من المناهضين للسامية فطريا ووراثيا ما يدل على شعورها بالحقد نحوه خاصة وانها كانت ترفض استقبال عائلته وحماتها في منزلها، وكان يرفض عائلتها بالمقابل.. كما ان ليونارد لم يكن يحصد نفس شهرة زوجته وكان ينقصه أسلوبها الرائع في الكتابة بينما كان ينقصها إنجاب الأولاد بشدة.. واذن، فقد كان هناك الكثير من الحقد والعداوة بين الزوجين والمختبئين خلف ستار من مظاهر السعادة المزيفة، وهكذا فأن ذهابها الى النهر لغرض الانتحار كان مقصودا بقوة ولم يكن سيئنيها أي شيء عن اختيار الموت الذي كان حقيقتها الوحيدة كما يبدو.

نسجت فيفيان سيرة كاتبتها المفضلة بأسلوب شعري رائع تستحقه الروائية والشاعرة أيضاً مسلطة أضواءها الكاشفة على الكذب والموت باعتبارهما المأساتين اللتين عانت منهما وولف خلال حياتها ودفعت ثمنهما برضى واختيار حقيقي.

حمل الكتاب الذي صدر مؤخرا عن منشورات البان ميشيل الفرنسية عنوان (فرجينيا وولف) ويعد حسب النقاد من الاعمال اللامعة للكاتبة الفرنسية فيفيان فوريستر.

دوريات

بحوث الإعلام الحديث في جديد (تواصل)

المدى الثقافي

العدد الجديد من مجلة (تواصل) الذي صدر برقم ٣٤/آيار/٢٠٠٩ جاء متعدد الأبواب والدراسات الخاصة بالإعلام الحديث: الصحافة الالكترونية، الانترنت، حرب الفايروسات، تكنولوجيا المعلومات، وقد شمل عدد (تواصل) دراسات عن (نظام الأمن الجماعي وتداعياته في الفضاء الإقليمي العربي) للباحث ثامر كامل محمد الذي ناقش مفهوم الأمن الجامعي سلباً وإيجاباً وتمظهراته الإعلامية.

وناقش موضوع د. عمار طاهر عن (قالب الملوية) باعتباره نمطاً يشكل اتجاهاً غير دقيق في الصياغة الخبرية.

وما يذكر ان د. كاظم المقدادي الخبير الإعلامي يروج لمفهوم قالب الملوية في بناء تحرير القصة الخبرية.

السيد عماد عبد الحسين ترجم دراسة سيلفرتورن المتسائلة.. هل سيتوقف الانترنت عند حد معين؟، وهي دراسة علمية عن بروتوكولات الانترنت واستمرار أدائها وفق النسخة الرابعة (IPV٤) التي تعد قاعدة للعناوين التي تزايدت بحيث لم تستطع هذه النسخة السيطرة على النحو الدراماتيكي الهائل في الشبكة!

ناقشت مقالة الباحث محيي المسعودي مسألة (تنامي الصحافة الالكترونية وتراجع الصحافة الورقية) باعتبارها ظاهرة عالمية وظاهرة عربية جديدة نسبياً.

واستعرضت (تواصل) وقائع المؤتمر الأول لليوم العالمي لحرية الصحافة وبحوث ذلك المؤتمر فيما ناقش بحث الدكتور جليل وادي موضوعة (المرأة والإعلام) والمشكلات القائمة بالنسبة للإعلامية العراقية، وجاءت مواد العدد الأخرى متواصلة مع مفهوم الإعلام الحديث وآفاق الاتصال ومناقشة دور المستهلك (المتلقي للإعلام الحديث) إضافة الى بعض البحوث والأخبار الخاصة بالمواد الاتصالية.

خاتمة العدد مقالة وميض إحسان رئيس تحرير (تواصل) عن (عيد الصحافة العالمي).

متابعة

امتزاج الأنغام في يوم الموسيقى العالمي

نورا خالد

تصوير: مهدي الخالدي

بمزيج متناغم من الموسيقى الفرنسية والعربية أقام المركز الثقافي الفرنسي، بالتعاون مع كلية الفنون الجميلة، حفلا موسيقيا على قاعة المركز بمناسبة يوم الموسيقى العالمي، بدأت الاحتفالية بأنشودة فرنسية لمجموعة من طلاب المعهد وكلية الفنون، صاحبها عزف جميل على أنواع من الآلات الموسيقية العربية والغربية من قبل فرقة (أوتار) للفنون، التي تضم عددا من طلبة كلية الفنون والمركز الثقافي الفرنسي، وقد لاقت الفعالية استحسان الحضور وتفاعلهم معها، وتواصلت الفرقة بتقديم بعض الأغنيات العراقية القديمة بنكهة وتوزيع موسيقي جديد، من بينها (جيه مالي والي) و(يلجمالك سومري) و(العيون السود) و(أحاول انسة حبك) و(عد وانة عد) فضلا عن الأغنيات العربية للفنانة فيروز منها (آخر أيام الصيفية) و(نسم علينا الهوا) بعضها قدم باللغة الفرنسية.

وبعد استراحة قصيرة للحاضرين قدمت فعاليات جديدة، بدأها الممثلان ليث نجاح وياسر قاسم بأداء مشاهد مسرحية بطريقة الاداء الصامت، والذي اعتمد على حركة الجسد ولغة الإشارة، واستطاعا فيها ان يعبرا عن فكرة الإنسان وتواصله مع الحياة دون تهميش او إلغاء وصاحب التمثيل الإيمائي الذي كان بعنوان (محطات) عزف موسيقي تناغم مع حركة الممثلين الإيمائية وفكرة العمل، ثم قدمت بعد ذلك مجموعة من الأغنيات التراثية العراقية والعربية فضلاً عن الأغنيات الفرنسية.

(الاء الفخري) المشرفة التربوية في المركز الثقافي الفرنسي قالت: عيد الموسيقى هو العيد الذي يجمع محبي الموسيقى الفرنسية والاستماع الى الموسيقى العربية، ولان الموسيقى هي لغة العالم والشعوب، ارتأينا تقديم هذا المزيج المتناغم من الموسيقى الفرنسية والعربية وخاصة التراثية العراقية، لما لها من اهمية فنية جعلتها تدور في فلك نفسها، كما قال عبد الوهاب عنها.

اما سرمد شهيد الذي قدم ست مقطوعات لعازفين اسبان مشهورين منهم سايبيكاس وباكوبينا ومقامات مشهورة أهمها مقام الرومني والفاروكا فقال: الموسيقى الاسبانية هي مزيج من الموسيقى العربية والغربية وهي في بعض الأحيان اقرب الى الشرقية مع بعض الفروق القليلة جدا لتصبح شرقية بحتة، وأتمنى ان تتعود اذن المتلقي على هكذا نوع من الفن الراقي.

وعن مشاركته في الفعالية قال: انها خير دليل على ان الشاب العراقي باستطاعته ان يتآلف ويبدع مع شتى الثقافات في العالم مهما كانت الظروف قاسية.

اما جانيت الطالبة في المركز الثقافي الفرنسي، فغنت للفنانة الراحلة داليدا بطريقة جذبت اليها الحاضرين وجعلتهم يصفقون لها بحرارة وقد صاحبها في الغناء عزف على العود للطالب المتألق سعد ناوخاص الذي قال: نهدف من خلال مشاركتنا اليوم الى تقديم بلدنا العراق كمصدر اشعاع ثقافي، واستخدمنا اللغة الفرنسية كبوابة لنصدر ثقافتنا الى الخارج بصورة عامة والى فرنسا بصورة خاصة كونها داعمة للثقافة في كل العالم

ومن خلال الفعاليات التي قدمت حاولنا ان نوصل رسالة الى العالم انه ليست بالثقافة وحدها يصل الإنسان الى ما يصبو اليه وانما بالحب أيضا يصل العالم الى بر الأمان، فالإنسان العراقي لديه اكثر من رسالة يرغب بإيصالها الى العالم بعيداً تماما عن العنف.

عباس حميد مطرب عراقي واعد شارك بأداء قصيدة مغناة بعنوان (عبثا) من ألحانه وكلمات الشاعر قاسم النجفي، كذلك أغنية بعنوان (زعلت عيونك) من كلمات الشاعر عاقل الربيعي وعن مشاركته يقول: الهدف من المشاركة هو إيصال رسالة الى العالم بانه على الرغم من كل الظروف التي يمر بها العراقيين فهم قادرون على إعطاء الكثير والتواصل مع الحياة والإبداع والموسيقى، وتابع يقول: ان المشاركة في مثل هذه الأماكن المتميزة تضيف الى اسمي وفني الكثير وأتمنى ان تقيم الفرق الموسيقية العراقية مثل هذه الفعاليات في الخارج لتعريف العالم بالتراث والموسيقى العراقية، ومحاولة نبذ صورة الحروب والعنف التي غلبت الشأن العراقي طيلة العقود الماضية.